علاقة المماليك مع العشائر العراقية في عهد الوالي سليمان باشا

م.م.اناس حمزه مهدي
م.م.محمد رسن السلطاني
جامعة بابل/كلية التربية الاساسية

المـقدمـــــة:

تكتسب علاقة المماليك السياسية في عهد الوالي سليمان باشا الكبير(1780- 1802م) مع العشائر العراقية في ولاية بغداد اهمية كبيرة ، لما شهدته تلك العلاقات من صور تعاون من جانب وعداء وصراع من جانب آخر ، لذلك من المهم بدرجة الكشف عن مراحل التعاون ومن ثم الكشف عن اسباب العداء والصراع من جهة اخرى , خاصة وان عهد الوالي سليمان باشا الكبير شهد جميع صور التعاون والعداء تتسم فترة حكم الوالي سليمان باشا الكبير اهمية خاصة كونه يتمتع بشخصية متميزة حاول ان يقوي سلطة الحكومة ويبسط سيطرتها على جميع المناطق والقيام باصلاحات سياسية وادارية واقتصادية ,ومما يزيد من اهمية حكمه انها كانت اطول فترة حكم بين الولاة المماليك في تاريخ العراق ولا يوازيه في ذلك سوى حسن باشا واحمد باشا . كما انه من المهم الكشف عن نشاط العشائر الذي لم تتناوله الدراسات بشكل كافي رغم ما كانت تحضى به العشائر في دور سياسي في ادارة مناطق واسعة من العراق , حيث كانت سلطة الحكومة في كثير من الاحيان لاتتعدى اسوار المدن .

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التحليلي التاريخي , حيث يكون وصف الحدث التاريخي ومن ثم التحليل التاريخي لمعرفة الاسباب التي ادت اليه والنتائج التي تمخضت عنه . تتكون الدراسة من ثمان فقرات اساسية عالجت كل نقطة منها مرحلة من مراحل العلاقات المملوكية العشائرية تناولت الفقرة الاولى فترة متسلمية (سليمان آغا) للبصرة حتى توليه منصب الولاية في بغداد ، اما الفقرة الثانية فدرست الحملات الاولى (لسليمان باشا الكبير)على عشائر الخزاعل , واتت الفقرة الثالثة لتبحث في عزل سليمان الشاوي وابعاده عن بغداد وموقف العشائر العراقية وجاءت الرابعة لتوضح التحالف العشائري الكبير ضد المماليك . وتناولت الفقرة الخامسة تحالف البابانيين في السليمانية مع عشيرة المنتفق للقضاء على حكم المماليك في العراق واتت الفقرة السادسة لتبين حملات علي الكهية على العشائر لفرض الضرائب ، اما الفقرة السابعة تناولت تعاون العشائر العراقية مع حكومة المماليك لمواجهة الحركة الوهابية ، واتت الفقرة الثامنة لتبين التحالف الكردي العشائري ضد المماليك في عهد الوالي سليمان باشا واحتوى البحث على خاتمة ضمت ماتوصلت اليه الدراسة بصورة متسلسلة وقائمة بالمراجع والمصادر. استندت الدراسة على مصادرعديدة والتي اختصت بتاريخ العراق الحديث بصورة عامة وفترة المماليك (1749-1831م) وفترة الوالي سليمان باشا الكبير بصورة خاصة , ومن تلك المصادر مؤلفات المحامي عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين,ج6) و(العشائر العراقية ج3,ج4) وكذلك كتابه(تاريخ الادب العربي في العراق) ومن الكتب المهمة (دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء للمؤلف رسول حاوي الكركوكلي , حيث كان هذا المصدر معاصرا للاحداث , ومن المصادرالاخرى المعاصرة للاحداث كتاب(مطالع السعود) لـ عثمان بن سند البصري رغم انه كتب من وجهة نظرالمماليك, وهناك كتب مترجمة مهمة منها كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لمؤلفه ستيفن همسلي لونكريك والذي اعتمد بصورة خاصة في معلوماته على كتابات الاجانب الذين زاروا العراق او عملوا لفترة طويلة فيه , كذلك كتاب (ولاية البصرة في الماضي والحاضر, ج2) لمؤلفه الكسندر ادموف والذي اعتمد على المصادر نفسها التي اعتمد عليها ستيفن همسلي لونكريك وهي كتب الرحلات وغيرها.

أولا": علاقات العشائر مع سليمان أغا أثناء متسلميته للبصرة حتى ولايته على بغداد

1- متسلميته للبصرة

لعبت العشائر العراقية دورا" مهما في سياسة الولاة المماليك في العراق لما لها من تأثير مباشر على سياستهم الداخلية ، ففي فترة المماليك في العراق (1749- 1831م) كان هناك شخصيات عربية قوية في الاحواز وجنوب ووسط العراق وقبائل عربية قوية أثرت تاثيرا كبيرا على سير الاحداث والمصالح في العراق ، مثل مير مهنا والشيخ سليمان ألكعبي الذي اسس امارة كعب في الاهواز(9) .

نتيجة لما كانت تمثله العشائر العراقية العربية من أهمية كبرى للحكم العثماني في العراق ولتسهيل التعامل معها فقد اوجد الوالي العثماني حسن باشا(1704- 1723م) نظام أو منصب (باب العرب) للتفاهم مع العشائر العراقية وهذا المنصب يتولاه عربي , وجعل له إدارة خاصة مرتبطة بالوزارة مباشرة , فكانت العشائر تراجع في امورها باب

العرب (10) ويعد باب العرب من المناصب المهمة التي اخترعتها السلطة العثمانية وهو اعتراف صريح بالعشائر العربية لما لها من أهمية في سير الأمور الإدارية والعسكرية والاقتصادية في ولاية بغداد ,حيث عمل باب العرب على تحقيق هدفين، الاول تنسيق التعاون بين العشائر التي تتعاون مع الادارة العثمانية، والثاني محاولة ايجاد تفاهم مع العشائر التي تخرج عن طاعة الدولة العثمانية , فهو وسيلة للاستماع لأراء العشائر لمعرفة مطالبيها وليس وسيلة للقضاء على العشائر.

قبل ان يتولى سليمان باشا الكبير منصب والي بغداد كان يشغل منصب متسلم البصرة ايام الوالي عمر باشا(11764-1775م) حيث كان له علاقات واسعة مع العشائرسلبية وايجابية ظهرت هذه العلاقات بجانبيها سنوات الغزو الفارسي للبصرة واحتلالها(1776- 1779م) .

بدأت القوات الفارسية هجومها على البصرة تحت حجة ان الوالي (عمر باشا) صادر اموال سبعمائة عائلة فارسية قضت في الطاعون الذي ضرب بغداد والبصرة عام 1773م (11) .

تباين موقف العشائر من الغزو الفارسي بصورة كبيرة فهناك من القبائل من قاتل الى جانب الفرس فيما كانت هناك قبائل قاتلت الى جانب العثمانيين ويعود ذلك التباين الى الاختلاف المذهبي والمصلحي بين العشائر, فعندما تقدم الجيش الفارسي بقيادة (صادق خان) ــ اخ كريم خان الزند شاه فارس – وقفت قبيلة كعب وبني لام معه بكل ما تملك من قوة حيث سخرت سفنها الحربية لمهاجمة البحرية العثمانية واسطول شركة الهند الشرقية البريطانية (التي وقفت الى جانب العثمانيين في الحرب ضد الفرس) في مدخل شط العرب وموانئ البصرة ,وعملت على تسهيل عبورالجيوش الفارسية شط العرب وعسكروا في اماكن قريبة من البصرة لحصارها ,ثم قام (300) فارس من كعب بمهاجمة البصرة وعبروا السور وفتحوا الأسواق والمحلات ووصلوا إلى وسط المدينة ثم عادوا الى موطنهم (12) , وكانت تلك المحاولة بمثابة اختبار لمعرفة قوة التحصينات الدفاعية للمدينة ومقدار وقدرة الجيش المدافع عنها وقد اثبت هذا الهجوم ضعف الدفاعات والمدافعين عن المدينة , وفي المقابل كانت هناك قبيلتين عربيتين وقفت إلى جانب العثمانيين في الدفاع عن البصرة ضد تقدم الجيش الفارسي وهما عشيرة المنتفق (13) وبنوخالد(14) .

(5)

حيث وجد الإيرانيين انفسهم بمواجهة قوات عربية كبيرة من عشيرة المنتفق يقودها (عبدالله السعدون) تحاول منع الإيرانيين من عبور شط العرب (15) .

بعث (صادق خان) قائد الجيوش الايرانية تحذيرا الى اهالي البصرة ومسؤوليها لافتداء المدينة , وارسل رسائله الى ثلاث شخصيات وهم متسلم البصرة (سليمان اغا) والوكيل البريطاني (روبرت مور) والشيخ درويش (شيخ العرب في البصرة) مما يدل على الدور المهم والثقل السياسي الذي تشغله القبائل العربية في البصرة بالنسبة للفرس والعثمانيين على السواء .

إزاء الرفض لرسائل صادق خان لافتداء البصرة ،تقدمت القوات الفارسية وحاصرت البصرة حصارا شديدا استمر لعام كامل (7نيسان 1775 – 15 نيسان 1776م) بعدها دخلت القوات الفارسية وأسرت متسلمها سليمان أغا وبعثت به مع عدد من موظفي إدارته كأسرى حرب الى شيراز واستمر الاحتلال اربعة سنوات (1776- 1779م) , وأثناء الاحتلال الفارسي لمدينة البصرة حدثت صدامات عنيفة بين الجيش الفارسي والعشائر العراقية , ففي سنة 1777م تقدمت قوة فارسية نحو المنتفق ودارت معركة عنيفة في مكان يقال له (الفضيلة) غرب نهر الفرات اسفرت عن هزيمة الجيش الفارسي وتكبده خسائر كبيرة (16) وفي عام 1778م تقدمت قوة فارسية تتكون من عشرة ألاف مقاتل مع (18) زورقا نحو المنتفق يقودها (محمد علي خان) وعند منطقة (ابي حلانة) على بعد (27) كم من البصرة دارت معركة عنيفة بين الطرفين أضاع فيها القائد الفارسي حياته وجيشه باجمعه (17) .

انسحب جيش (صادق خان) من البصرة في اذار1779 ووعد بإطلاق متسلمها سليمان أغا (18) وكان الانسحاب بسبب وفاة كريم خان الزند وحدوث حرب حول من يرث العرش ولإسناده في ترشيح نفسه للعرش .

ثانيا : موقف العشائرالعراقية من محاولات سليمان أغا تولي منصب والي بغداد .

عندما انسحب (صادق خان) من البصرة وجه حاكميتها إلى سليمان أغا وأرسل معه مراسلا حتى وصل إلى الجزيرة (قرب الموصل) وحينئذ عرف ان (نعمان أفندي) نصب متسلما فتوقف في الحويزة وراسل الاعيان ورغبوا في دخوله البصرة إلا ان (ثامر السعدون) شيخ المنتفق وقف الى جانب نعمان افندي وعارض سليمان أغا , كما ان والي بغداد حسن باشا (1778- 1780م) اعتذره وبقي في محله منتظرا سير الاحداث (19) ومما عقَّد عودة سليمان اغا الى البصرة ان القوات الفارسية عندما انسحبت عام 1779 تركت المدينة ليسيطر عليها (ثامر السعدون) مع قواته فلم يكن بوسع (سليمان اغا)الدخول للمدينة , ولكن الوضع تغير لصالح سليمان اغا حينما حصلت خصومة بين المنتفق والخزاعل (20) فسار ثامر السعدون بالمنتفق لحرب الخزاعل الذين خرجوا له فقتلوه مع خلق كثير من المنتفق ,وآلت المشيخة الى (ثويني العبدالله) الذي كان صديقا لسليمان اغا فطلب من ثويني ان يدخل المدينة فدخلها ووصل في الوقت نفسه الفرمان من الاستانة بتعيينه متسلما للبصرة وبرتبة (ميرميران) غيـــران نظر سليمان اغا كان يتجه الـــى ابعد مـــن ذلك لانه كان يشعر بانه

(6)

الرجل القوي في العراق ,ولم يدع اية فرصة لافهام السلطان العثماني ذلك , وكان ساعده في ذلك (المستر لاتوش) الوكيل البريطاني في البصرة لان سليمان أغا كان صديقه ودائنه في الوقت نفسه , وكان الوكيل وسيطه في تحويل الأموال الضخمة إلى استانبول (21) .

بعد ان طلب (سليمان اغا)من الدولة مرارا توليته بغداد , صدر الفرمان بتوجيه ولاية بغداد إلى سليمان اغا وعهد بمتسلمية البصرة الى القبطان , وغادر البصرة متوجها إلى بغداد في ربيع عام 1780م بمصاحبة قوة كبيرة من المنتفق يقودها (ثويني العبد الله) وعندما وصل إلى كربلاء أمر ثويني العبد الله بالعودة الى موطنه واستقبله في الحلة (سليمان الشاوي) استقبالا رسميا (22) . ودخل سليمان الذي لقب بـ (بيوك) اي الكبير [تمييزا له عن والي آخر حكم بغداد يحمل نفس الاسم] إلى بغداد في تموز عام 1780م وقد حضر رؤساء القبائل الكبرى في خريف 1780م لتقديم الطاعة وتم تعيين قسم منهم في مناصب شرفية ، وكان الوسيط بين شيوخ القبائل وبين سليمان باشا الكبير(1780-1802م) سليمان الشاوي الذي كان يشغل منصب (باب العرب) ورئيس عشيرة العبيد (23) ورئيـس الأسرة الشاوية المعـروف بكـونه مشـاورا ودبلوماسيا (24).

ثالثا": حملات سليمان باشا الكبير على الخز اعل .

لعبت العشائر العراقية في جنوب ووسط العراق دور كبير في مساندة(سليمان باشا الكبير) في تولي منصب والي بغداد حيث كانت العلاقات بينه وبين العشائر العراقية في البداية ،علاقات طيبة ويسودها الاحترام ، ولكن ذلك النمط من العلاقات تغير نحو العداء بعد أن اطمأن الوالي على منصبه واستقر في حكم بغداد ، وربما يعود السبب إلى محاولة الوالي بسط سلطته على أنحاء العراق بعد أن استغلت العشائر الفوضى التي سبقت حكم (سليمان باشا الكبير) وفرضت سيطرتها على مناطق واسعة في العراق مستغلة ضعف الولاة السابقين ، ولجباية الضرائب التي كانت تفرضها الدولة على العشائر ، وكانت أول حملة قادها الوالي على جهة ديالى للقضاء على محمد العجمي وجماعته الذين سيطروا على تلك الأنحاء ونجح في ذلك وهرب محمد العجمي إلى إيران (25) .

أول حملة قام بها سليمان باشا على العشائر العراقية كانت على عشيرة الخز اعل عام 1781م وكان في عهد شيخها (حمد الحمود) على الرغم من استقبال باشا الكبير عند مروره من البصرة الى بغداد، وقدم له الهدايا واظهر الباشا حسن القبول واللطف ، وكان الخز اعل استغلوا فرصة الفوضى التي مر بها العراق في الفترة السابقة فسيطروا على منطقة الفرات الأوسط زهاء ثماني سنوات برئاسة شيخهم حمد الحمود ، فعزم الوالي على حربهم وعزل حمد الحمود وتعيين بدله الشيخ (محسن) , فوصل جيش الوزيرالى الحسكة واستقر في جانب الشامية على الفرات واتحدت عشائر الخزاعل (الحمد) و(السلمان) وتبعتهم عشائر اخرى وصاروا تحت قيادة حمد الحمود , وتحصنوا في قلاعهم

المسماة (سيباية) وكانت محاطة بالمياه فعمل الوزير على *سد نهر الفرات ومنع المياه من الوصول الى الاهوارالتي كانت تمنعهم.

(7)

وفي مدة شهرين تمكنوا من سد نهر الفرات وعندها أرسل حمد الحمود إلى سليمان باشا الكبير يطلب الصلح , فوافق سليمان باشا واعاد المشيخة اليه (26) واستطاع سليمان باشا ان يخضعهم لامرته بواسطة قطع مياه النهر دون ان يريق قطرة دم واحدة , وقد كافأه السلطان من على ذلك بسيف مرصع القبضة وثوب من السمو الفاخر (27) .

في عام 1783م سار(الوالي سليمان باشا الكبير) الى الشامية بحملة عسكرية لامتناع شيخها (محسن) دفع الضرائب، وتحصن في قلعته (السيباية) واعتمد على رصانتها , وبعد ان وصل الوالي الى المنطقة بقي بضعة ايام هناك وهاجمهم من كل صوب فاشتد الامرعلى الشيخ محسن وجماعته ولم يجد قدرة على المقاومة ، انسحب ومن معه تاركين املاكهم وامتعتهم واموالهم التي استولى عليها الوالي وجيشه (28) .

قام سليمان باشا الكبير بقيادة حملة جديدة على الخزاعل عام 1784م , وكانت كالحملة التي سبقتها فعندما وصل الى منطقة (لملوم) التي كان الخزاعل يحتشدون بالقرب منها , لم يستطع التوغل بسبب الأنهار والاهوار ، وعمد الى سد نهر الفرات , فقام الخزاعل بكسر الكرمات (الانهار الفرعية) واغراق جيش الوالي والقيام بهجمات ضده , بعد ان عجز الوالي من التغلب على الخزاعل بعث(حمد الحمود) الى الوالي يطلب العفو فقبل *الوزير وابقى المشيخة في عهدته والبسه خلعة الوزارة وعاد الى بغداد (29) .

بعد إن استطاع سليمان باشا الكبير القضاء على خروج العشائر عن سلطة الحكومة في وسط وجنوب وشمال العراق في بداية حكمه جعلت مهابته تزداد وقعا" في النفوس , فاستتب الأمن في أنحاء البلاد , وانتظم سير القوافل , وراجت الأسواق , وجمع (سليمان باشا) من الداخل والخارج ألف مملوك واخذ يدربهم تدريبا متعبا ليكونوا أهلا للاعتماد عليهم عند الحاجة .ثم عين للانكشاريين ضباطا اختارهم بنفسه ووزعهم على مراكز الفرات الاوسط *والخالص بدلا" من ابقائهم متجمعين في بغداد (30) .

رابعا" : عزل سليمان بك الشاوي وموقف العشائر العراقية .

يعتبر(سليمان الشاوي) من الشخصيات التي لعبت دورا مهما في سير الاحداث، وتطورت العلاقات في عهده مع العشائر العربية العراقية سلبا وإيجابا، و في اغلب فترة حكم الوالي سليمان باشا الكبير تعكرت علاقته مع سليمان الشاوي منذ تولية سليمان باشا الكبير لولاية بغداد وحتى *مقتل سليمان الشاوي عام 1894 م, فكان سليمان الشاوي يجمع في نفسه صفات قلما اجتمعت في احد غيره , فهو كان رئيس عشيرة العبيد , و شاعر من شعراء القريض وعالما لغويا ومؤلفا (31) . فضلا" عن مشاورا" الى ولاة بغداد، وتولى منصب (باب العرب) الذي يقوم من يتولاه بادارة شؤون العشائر لدى الادارة في العراق ، ولعب الشاوي دورا سياسيا" مهما في بداية حكم سليمان باشا الكبير.

(8)

وعلاقة متينة جدا , فضلا" عن توسطه وقد توسط لدى مشايخ الفرات الاوسط ، فجاء بهم الى بغداد لتقديم فروض الطاعة الى الوالي (32) .

اخذت العلاقة بين الشاوي والوالي سليمان باشا الكبير تاخذ طابع العداء بعد عام 1785م ويعود ذلك الى عدة اسباب،منها في عام 1785م عين سليمان باشا الكبير كهية له (33) (احمد اغا) برتبة ميرميران ومن قبلها كان مهردار (حامل اختام) وكان بين هذا العبد المعتق وسليمان الشاوي من الحقد المر ، نشأ من قبل وتأصل , فملأ الكهية احمد اذني سيده بقصص عن خيانة الشاوي ومخابراته وعن اطماعه الخطيرة ولما اقتنع سليمان باشا بذلك امر بمصادرة امواله واملاكه وامره بمغادرة بغداد(34).

هناك من يرى ان سليمان باشا الكبير اراد ان تكون الادارة خالصة للمماليك ووطد الامر بالقضاء على نفوذ البنكرجية والعشائر العربية والامارات الكردية , وربى مماليك اخرين فتمكنوا من الادارة, واراد ان يقضي على عنصر فعال من العناصر الاهلية وهذه سياسته كانت في الخفاء وما قام به من اعمال اظهرت مكنون سره فلم يطلع على فكرته سوى مهرداره (35) ,غير ان هناك من يرى سبب آخر للنزاع وهو ان الحاج سليمان الشاوي كان يحتقر في قراره نفسه المماليك ويعتبرهم غاصبين سرقوا خيرات البلاد وتحكموا بها رغم انف أبنائها ولم يتكتـم في انتقاد حكمهم والشكوى من ظلمهم واستبدادهـم وقـد اشتـدت نقمته حين راى احمد اغا المهردار وهو المملوك المغدور يسيطر على الامور في بغداد فأستنكف الحاج سليمان وهو الشيخ العربي الكبير ان يسير في ركاب هذا المملوك القذر الحقير(36) .

وهناك من علل النزاع الى ان الشاوي سلك مع الوالي مسلك التكبر والعجب بالنفس والانانية فشمخ وتجبر كثيرا ما كان يتطاول بالكلام على الوالي ويسمعه الفاظا غير لائقة , وطالما نبهه الوالي كناية وتصريحا فلم يفد معه شئ من ذلك بل ازداد غرورا ، وقيامه بالحط من منزلة المهردار احمد اغا والحط من قدره ... فاضطر الوالي بعد ان فرغ صبره بنفيه من بغداد (37) .

غادر الشاوي بغداد في عام 1786م وتوجه نحوعقرقوف شمال بغداد (38) واستقر هناك قليلا والتفت حوله عشائر العبيد وعشائر اخرى ، كما انظم اليه كل هارب ومتشرد مـن مختلف القـرى والمدن واخذت قواته تعبث بالامن على الطرق الممتدة بين الخابور وضواحي بغداد (39) , لذلك عزم سليمان بـك باشـا الكبيرعلى حربه، فجلب ابراهيم باشا الكبير متصرف ألوية بابان وكوى وحرير بجيوشه وعززها جيوشا من بغداد وعين احمد أغا قائدا عليها لمحاربة الشاوي , فلما سمـع الشاوي رحـل الـى (وشيل) فـي تكريت ومن ثم تحرك الى انحاء الخابور , وغنم جيش الوالي امواله وعاد الى بغداد (40) ثم تحرك سليمان الشاوي الى عانة فأمر الوالي بقوة بقيادة كتخدا البوابين خالد اغا .

خامسا : التحالف العشائري الكبير ضد المماليك

لعبت قبيلة المنتفق دور كبير في مساعدة الوالي (سليمان باشا الكبير) في بداية حكمه في الفترة الزمنية (1780-1787)م على تولي الولاية والقضاء على القلاقل الداخلية وضبط الأمن، وفي عام 1784م ساعدت الحكومة في حربها ضد قبيلة كعب وأنقذت مدينة البصرة من خطر الكعبيين , وخلال تلك الاحداث ادرك (ثويني) شيخ المنتفق قوة أتباعه وضعف المماليك(41) فكان لتلك الحادثة السبب في تكوين التحالف العشائري الكبير ضد سلطة المماليك في العراق، والسبب الثاني فهو لجوء (الشاوي) الى ثويني بعد هزيمة جيشه أمام جيش الوالي في بغداد . فناصره ثويني الحاج الشاوي وكتب إلى الشيخ(حمد الحمود) شيخ الخز اعل لحرب المماليك .

في نيسان 1787م سار (ثويني العبدالله) مع فصيل من عشيرته إلى البصرة وألقى القبض على متسلمها ثم احتل البصرة واستبدل جميع الموظفين العثمانيين بموظفين من قبله , ثم كتب رسالة إلى الباب العالي برر فيها تصرفه بضرورة إعادة حقه في البصرة التي كانت في يوم ما تعود إلى أسلافه ووعد في ختام رسالته ان يخدم السلطان بصدق وإخلاص إذا ما ولاه الحكم في بغداد والبصرة (43) .

اهتم (سليمان باشا) للأمر وصار يجهز الجيوش وكتب إلى(إبراهيم باشا) متصرف بابان وكوى وحرير وكاتب عبد الفتاح باشا متصرف درنة وباجلان ان يوافوه بالجيوش ويحضروا بأنفسهم للحرب(43) .

وفي تلك الأثناء وصل الأمر من اسطنبول بالقضاء على تلك الانتفاضة في الحال فقاد سليمان باشا الكبير بنفسه الحرب مع العشائر, وأرسل في الوقت نفسه إلى (سليمان ألكعبي) بطلب المساعدة واعدا إياه باعطائه بعض الاراضي التي كان يتطلع لها سليمان الكعبي من زمن، والذي يهدف منه سليمان الكبير ان يمنع تحالف الكعبيين مع المنتفق، لعلمه ان الشيخ (ثويني العبدالله) يجري مفاوضات في ذلك الشأن مع سليمان الكعبي (44) .

وصل جيش سليمان باشا الكبير الى *الحسكة لمواجهة الخزاعل ألمتأهبين للقتال وفي مقدمتهم(حمد الحمود)،فتقدم الوزير نحوهم فساق الكتائب وضيق الحصار على قلاعهم (سيباية) واحاطهم من جميع جهاتهم فتفرق شملهم (45) ثم واصل طريقه للمنتفق حتى وصل (ام العباس) وفيها ضرب خيامه في حين جمع شيخ المنتفق(ثويني العبدالله وسليمان الشاوي) وشيخ الخزاعل حمد الحمود جيوشا" كبيرة، فبلغ عدد الخيالة والمشاة عشرين الفا" واستعدوا في نهر عمر، فمكثوا ثلاثة ايام لتعبئة الجيش،و ساروا الى الوزير والتقوا في (أم الحنطة) وحدثت معركة كبيرة يوم25تشرين الاول عام1787م انتصر فيها جيش الوالي سليمان باشا الكبيرعليهم (46).

هناك عامل مهم في انتصار سليمان باشا الكبير على العشائر ،على الرغم من ان عشيرة المنتفق كانت تمثل القوة الكبيرة في التحالف والعنصرالاساسي ، فان اية بلبلة بين صفوفها ستؤدي الى الاختلال في صفوف العشائر وهذا ما حدث , حين ذهب الشيخ(حمود الثامر السعدون) احد اكبر شيوخ المنتفق مع مئة من وجهاء عشيرة المنتفق والتجأ الى الوالي فأبلغه على ان تنفض الناس من حول الشيخ(ثويني العبدالله) والذي حدث فعلا"، فكافئه الوالي ووجه مشيخة المنتفق الى حمود الثامر ومشيخة الخزاعل الى محسن الحمد ،ووجه متسلمية البصرة الى مصطفى اغا الكردي ونظم امورها وترك في البصرة اسماعيل اغا التكه لي رأس اللاوند مع جملة بيارق خيالة في البصرة(47) .

وقد وصف الرحالة الانكليزي توماس هاول (THOMAS HOWEL) الذي بقي في البصرة مابين (23شباط الى 1 آذار1788) تلك المعركة ، حيث فحص آثار معركة 25تشرين الاول وكتب عنها قائلا"((أنها لابد كانت مذبحة رهيبة ،فالميدان كله مغطى بعظام الرجال والخيول)) (48).

عندما انتصر الوالي عزل الشيخين (ثويني العبد الله) من مشيخة المنتفق و(حمد الحمود) من مشيخة الخز اعل ،أما (سليمان الشاوي) فتمكن من الفرار وبقي فارا" مدة ثم طلب العفو من الوالي فعفا عنه واعاد إليه أملاكه وأمره بالإقامة قي مقاطعاته الواقعة قرب بغداد في موقع يسمى (تل اسود) وبقي حتى عام 1790 حيث التجأ اليه (محمد العجمي) الذي عاد من إيران فجأة ، فطلب منه الوالي ان يسلم محمد العجمي فلم يفعل لان ذلك منافي للتقاليد العشائرية فوجه اليه الوالي حملة بقيادة الكهية فلم يجد سليمان الشاوي تجاه ذلك سوى الهرب نحو الصحراء مع دخيله (العجمي) واستطاع الكهية ان يستولي على اموالهم في (عين القير) التي تبلغ اربعين الفا" من الاغنام والأموال الاخرى (49) واستطاع محمد العجمي ان يهرب عن طريق الصحراء الى مصرـ حيث مات فيها – وذهب الحاج سليمان الشاوي الى قومه في الخابور وهناك اغتاله احد اقاربه وهو(محمد بن يوسف الحربي واولاده) عام 1894م (50) .

سادسا: تحالف البابا نيين مع المنتفق للقضاء على حكم المماليك في العراق

بعد أن هدأت الاحوال في البصرة اكتشف الوالي سليمان باشا الكبير موآمرة تستهدف القضاء على حكم المماليك في العراق دخل فيها اكبر الضباط في البصرة وحكام شهرزور اضافة الى (ثويني العبدالله) شيخ المنتفق ، حيث عمل الحاكم الكردي للبصرة (مصطفى بيك) الذي خدع حاميته المؤلفة من جنود اللاوند ، وكتب إلى (عثمان باشا بابان) لتدبير ثورة تضرم نارها في وقت واحد ويستهدف بها استقلالهما ، كذلك عمل على اجتذاب ضباط البصرة الى جانبه بالرشوة والهدايا ،ثم بعث الى (ثويني العبدالله) يقنعه بالدخول في الخطة ،وكتب في الوقت نفسه الى الوالي بأن لا قبل لحمود الثامر بالمشيخة ومن الواجب إعادة ثويني الى مشيخته ،صادق الوالي(سليمان باشا الكبير) على إعادة ثويني الى مشيخة المنتفق .غير ان سليمان باشا الكبير كان قد اطلع على كل شئ ، فعمل على نقل قائد خيالة البصرة وبعث محمد الشاوي (ابن الحاج سليمان الشاوي وباب العرب) إلى البصرة ليحمل تحذيرا" عاما" للمتسلم ، ورجاءا" خاصا"الى القبطان باشا ، بأن يقوم بالقضاء على المتسلم بضربة فجائية ،إلا إن القبطان مصطفى حجازي اساء تدبير الامر فكلفه ذلك رقبته فيما بعد (51) .

كان دور(عثمان باشا بابان) في الخطة ان يقوم بالتقدم نحو بغداد لاحتلالها وانهاء حكم المماليك بعد ان يقوم حاكم البصرة بأستدراج سليمان باشا الكبير الى البصرة حيث يقوم بالقضاء عليه بالتحالف مع ثويني العبدالله شيخ

المنتفق ، فعمل سليمان باشا الكبير على وضع خطة مضادة ، حيث سارع الى توجيه كتاب دعوة لعثمان باشا الى العاصمة البابانية (السليمانية) (52)،فقد دعي عثمان باشا البابانى الى بغداد حيث زوجت ابنته ،مع المجاملات الكثيرة ،الى اخي الكهية ،وبهذه الوسيلة عزل البابانى عن قواته وعن تأثير حليفه في البصرة ، ثم تحركت في شباط 1789(53) حملة الوالي الى البصرة بعد ان ضمن عدم مشاركة عثمان باشا البابانى ،فجرى الصدام بين جيش الوالي وقوات المتسلم والمنتفق في العرجة على الفرات فانتصرت قوات الوزير وهرب (مصطفى بيك) الى الكويت وقصد ثويني البادية واعيد حمود الثامر الى مشيخة المنتفق وعين مملوك آخر هوعيسى المارد يني للبصرة (54) .

سابعا: حملات علي الكهية على العشائر لفرض الضرائب

تمثل حملات الحكومة المملوكية على العشائر من اجل استيفاء الضرائب المتأخرة نمطا" مألوفا" من أنماط العلاقات العشائرية المملوكيـــة فـــي عهد جميع الولاة المماليك ،حيث كانـت تلك الحملات لا تنقطع فـــي جميع الأوقـــات نتيجة لتأخر دفـع الضرائب او لفرض ضرائب جديدة باهضة ومتعددة تمتنع العشائر عـــن دفعهـــا او تتأخر فيها ، حين تطلب مـن شيخ العشيـــرة دفعها ، فعندما يتأخر تجهز الحكومة بالإغارة على العشائر مصادرة مواشيها وخزينها من الحبوب والمواد الغذائية الاخرى مقابل تلك الضرائب .

قام الوالي (سليمان باشا الكبير) بتوجيه كهيته علي(55)ـ الذي تولى بعد الكهيـــة السابـــق احمد – للقيام بحملات ضد العشائر المتأخرة عن دفع الضرائب ، فـــي مختلف انحاء العراق ،فوجهه حملة ضد عشيرة البرشاوية في عفك صيف عام 1796،وأغتنم منهم اثنتي عشرا لف رأس مـن البقروعاد الى بغداد(56) ، وفـــي عام 1797 قاد الكهية حملة عسكرية عظيمة على الخزاعل ،فورد الحسكة ،فبعث (حمد الحمود) بطلب الصلح فرفض الكهية ،فهاجمهـــم وضبط ديارهم ،وبعث الكهيـــة بعد انتصاره الـــى (محسن الغانم) شيخ خزاعل الشامية و(سبتي المحسن) شيـــخ خزاعـــل الجزيرة طلبا" بتأدية كل واحد منهم الف (تغار) من الشلب عدا النقود المطلوبة ونصب سبتي المحسن شيخا" على خزاعل الجزيرة ومحسن الغانم على خزاعل الشامية، واستوفى الميري والنقود وعاد(57) .

وجهزالوالي حملة على احدى عشائر زبيد(58) (السعيد) لامتناعها عن دفع الضرائب فأستحصل الضرائب ،ثم قام بحملة على شيوخ ربيعة (59) فتغلب عليهم وابعدهم وغنم مواشي كثيرة، ثم توجه نحو دياررربيعة فنظم امورها وحصل منهم على ستين الف رأس من الغنم وعلى مقدار كبير من الجاموس وبهذا اكمل الكهية مهمته في النهب والسلب وعاد الى بغداد (60) .

استمرت حملات الوالي عن طريق كهيته (علي) على عدة عشائر في انحاء عديدة بسبب الضرائب التي كان الوالي يفرضها سنويا" ويزيدها تبعا" لحاجته الى الاموال لاسترضاء الباب العالي أو اشباع حاجته وحاشيته ، لذلك كانت الضرائب كل عام زيادة في المبالغ وفي اضافة انواع جديدة من الضرائب وهي من الامور التي أوجدت نوع من العلاقات العدائية بين العشائر والوالي فتكررت حملات على عشيرة عنزة في الحلة وقشم والاسلم والرفيع وكذلك على عشيرة الديلم في الجهة الغربية من العراق اضافة الى غاراته المتكررة علـــى الخزاعل فـــي ايام حصـــاد محصول الشلب فكانت غارة الكهية تنتهي بان يقوم بسلب ونهب مواشي العشائر واموالهم ثم يعود الى بغداد.

ثامنا: تعاون العشائرمع الحكومة لمواجهةالحركة الوهابية (61)

منذ عام 1790م اخذ الخطر الوهابـــي يهدد العراق ،فقد ظهرت علـــى الحدود العراقية السعودية من ناحية الصحراء جماعات وهابية اخذت تغزو مراعي الضفير والمنتفق والشامية واخذ الدعاة الوهابيون يتسللون الى العراق ويحاولون نشرالدعوة الوهابية بين عشائرالفرات ويستغلوا العداء الموجود لدى العشائر ضد الحكومة العثمانية ووالي بغداد (62) ، وبعـد ان استولى الوهابيون على الاحساء، وأصبحوا يهددون بشكل كبير قبائل العـراق وقوافل الحجاج ،طلبت اسطنبول من الوالي سليمان باشا الكبيرعام 1796 م ان يسير بالاشتراك مع إمام مسقط لمحاربة

الوهابيين ،وفي هذه السنة اعاد الوالي (ثويني العبد الله) الى مشيخة المنتفق وعزل الشيخ (حمود الثامر) لغرض قتال الوهابيين والزحف الى نجد (63) .

قام الوالـــي باعداد حملتين لرد خطرالوهابيين عن العـراق الاولى بقيـادة ثوينـــي العبدالله وبعدان فشلت الحملة قام الوالي بتجهيز حملة أخرى بقيادة (علي الكهية) .

كلف الوالي فـــي عام 1797م ثويني شيـخ المنتفق – بعد ان صالحـــه واسترضاه بالمسير الى حرب الوهابيين وامر ان يلتحق به الجيش الموجود في البصرة مع خمس من القطع البحرية، وســار ثويني نحو الاحســاء مــع جمع من عشائر(المنتفق وعقيل والظفير وبني خالد) وغيرهم وعند وصوله مع قواته الى عين الشيبك هجم عليــه في خيمته عبد زنجي اسمه (طعيس) فقتله وسميت هذه الموقعة(سحبة) (64) ولما كان الجيش لا رابط له ولا نظام سوى شخصية الشيخ (ثويني) فقد تفرق في الحال وانقسم الى خمسين قطعة،كل قطعـــة كانت تواقة للرجوع الـــى الوطن سالمة وانتهز الوهابيون الفرصة فانثالوا عليها يقتلون وينهبون فغنمــوا منها المدافـع والقنابل كما غنموا الكثيرمن الابل والغنم فضلا" عن المواد الغذائية والتجهيزات (65) بعد ان فوجئ الوالي سليمان باشا الكبير بفداحة هذه الضربة وايقن ان امر الحركة الوهابية اعظم مما كان يظن ،اخذ يستعد لحملة جديدة على الوهابيين بقيادة (علـــي الكهية) الذي استعد لها طوال صيف عام 1798 م فكانت تشمل علـــى خمسة الاف انكشاري وعدد من الجنود الاجيرة وغير النظامية وعدة مدافع وضمت ثمانية عشر ألف فرس وعشرة الاف بعير ، ورافق الكهيـــة محمد بك الشـــاوي مشاورا"في شؤون البادية ،وبعد ان وصلت القوات الى البصرة اضيفت الى الجيش قطعات من قبائل (الظفيروالمنتفق وبني خالد) وبلغ عدد القوات العشائرية عشرة الاف مقاتل وبعد ان وصلت الحملة الى الهفوف، فقدت الحملة قوتها بسبب مشاكل في التموين والامداد وفشلت المدافع فـــي هدم اسوارقلعتـــي(الهفوف) و(المبرز) فاستعيض بالمعاول دون جدوى وبدات الجمـــال تهزل وينتشر فيها المـــوت ،وضـــج الجنود سأمـــا" وصار الكثيرمنهـم ينـــادي بالعودة وعـــدم فائدة الاستمرارفـــي القتال واشيع ان احـــد ابناء ابن سعود قطع الطريق شمال الهفوف،لذلك بدات الحملة بالانسحاب،واقيمت اتصالات لتوقيع الصلح وتبادلوا الرسل ،وكانت شروط الكهية اخلاء الاحساء ومعاملة الحجاج العراقيين بالحسنى واعادة المدافع العثمانية التي استولى عليها الوهابيـــون ،ودفـــع غرامـــة ، فعادت القوات العثمانية الـــى البصـــرة ومنها الى بغـــــداد في تموز1799واقيمت مراسيم التصديق علـــى المعاهدة في بغداد بحضـــور ممثل الاميـــر آل سعـــود ولكن المعاهدة انتهكت عام 1801باعتداء الوهابيين على الحجاج العراقيين والاغارة على عشائر البادية في العراق (66) ، وفي 7/آب/1802 توفي سليمان باشا الكبير بعد ان وصى من بعده بالولاية لصهره وكهيته وزوج اكبر بناته علي الكهية(67).

13

الخاتمـــــــــــــة

ارتبطت سلطة المماليك في عهد الوالي سليمان باشا الكبير بعلاقات قوية مـــع العشائر العراقية في بداية حكم الوالي في بغداد ، ولكنها بدأت تأخذ طابع العنف والعداء بعد ان استقربه الحال كوالي لبغداد ، حيث اخذ يفكر في إبعاد العناصرالغيرمملوكية والقضـــاء عليها ليكون الحكم خالصا"له.

كانت علاقـات الوالـي فـي بداية حكمه قويـة بالعشائر العراقيـة وتتسم بطابع الصداقـة والتعاون وكان ذلـك اثناء شغلـه منصب متسلم البصـرة مرورا" باحتـلال الفـرس لهـا واسره حيث ساعدته العشائر في دخول البصرة كما عملت العشائر العراقية علـى دعم ترشيحه لولاية بغداد وتقديم الدعم والطاعة له ،اخذ الوالـــي يفكر بالقضاء علـــى الاستقلال الذاتي للعشائر في مناطقها ،ولذلك قام بعدة حملات على الخزاعل في الفرات الاوسـط و اسفرت عن خضوعـــها للحكومة ودفعـــها للضرائب ثم فكربابعـــاد العناصرالغير المملوكية المتنفذة في بغداد فابعد سليمان بك الشاوي وتبعه حملات ملاحقة للشاوي مع عشيرته حتى انتهى الامر بتشكيل تحالف عشائري كبير يتكون مـــن اكبر العشائر في وسط وجنوب العراق ،هدد بشكل فعـــال حكومة المماليك ولكن الوالي استطـــاع ان يقضي عليه .

تعاونت العشائر العراقية مع العشائر الكردية (آل بابان) وشكل تحالف البابانيين والمنتفق للقضاء علـــى حكم المماليك ،وكادت ان تقضي عليها لولا اكتشـــاف الخطة واستخدام سليمان باشا الكبير الحيلة تارة والقوة العسكريـــة تارة اخـرى للقضاء على التحالف ، وشهدت السنوات الاخيرة مـــن حكم الوالي سليمـــان باشا الكبير تجهيـزحملات عديدة وكبيرة ضدالعشائر العراقية في مختلف جهات العراق كانت تهدف فـــي الظاهر الى جباية الضرائب ولكن الحملـــة تقوم بسلب ونهـــب امـــوال ومواشي وغلال العشائـــر الزراعية ثم تعود،وهذا يدل علـــى ضعف الوعي السياسي والاداري بـــل وغيابه لدى الوالي الذي اخذ يقوم بدور السلب والنهب لاموال المجتمع .

كان ابرز مظاهر التعاون بيـــن الوالي والعشائر فـــي السنوات الاخيرة لحكمه هو محـــاولة التصدي لخطر الحركة الوهابية التي اخذت تغزو العراق ،حيث جهز حملتين للقضاء عليها الاولى بقيادة ثويني العبدالله شيخ

المنتفق وكانت تتكون من عشائر عديدة كانت نتيجتها مصرع ثويني وهزيمـــة الحملة ،والحملــة الثانية بقيادة علـــي الكهية وتكونت اكثرها من العشائرالعراقية واسفرت عن توقيع الصلح مع آل سعود.

14

قائمـــة المصادر:

1. صالح احمد العلي : العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، 1983 ، ص 603 .
2. عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث ، المكتبة العربية ، القاهرة ، 1968 ، ص 108 .
3. أول من تولى الحكم في العراق من المماليك اثر فتنة قام بها الانكشاريون في بغداد واستمرت ثلاث ايام مما جعل الوالي الذي عينته الدولة يفر من بغداد فأضطرت الدولة الى تعين ابو ليلة واليا مكانه .
4. عبد العزيز نوار : مصدر سابق ، ص 108 .
5. علي الوردي : لمحات من تاريخ العراق الحديث ، ج 1 ، ص 153 .
6. ستيفن همسلي لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، 1962 ، ص 165 .
7. ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام ، ترجمة ، فؤاد جميل ومصطفى جواد ، ج 2 ، بغداد 1967 ، ص 89 .
8. علي الوردي ، مصدر سابق ، ص 158 .

9.قبيلة كعب نزحت من نجد وكونت امارة قوية وكان لها مقران (قبان) في العراق و(الدورق) في الاراضي الايرانية،وكونت قوة بحرية وبرية واربكت المصالح البريطانية في الخليج ،واستطاعت ان تتغلب على تحالف المماليك في عهد سليمان باشا ابوليلة مع شركة الهند الشرقية البريطانية عام 1761م .للمزيد ينظرعبدالاميرمحمد امين :المصالح البريطانية في الخليج العربي 1747- 1778م ترجمة هاشم كاظم لازم ، مطبعة الارشاد ،بغداد ، 1977،ص122،ج.ج لوريمر :دليل الخليج العربي ،القسم الجغرافي ،ترجمة قسم الترجمة بمكتبة امير دولة قطر، ط2، الدوحة [د.ت] ص ص 2215- 2216 ؛ مصطفى عقيل الخطيب:التنافس الدولي في الخليج العربي 1622- 1763 ،المكتبة العربية ، بيروت1981 ، ص294؛ كارستين نيبور: مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة 1765م ترجمه عن الالمانية سعاد هادي العمري ، دار المعرفة ، بغداد ،1955 ، ص ص 35- 40.

10.عباس العزاوي: العشائر العراقية ، ج4 ، المكتبة الحيدرية ، قم المقدسة ، 1955 ، ص13 .

11.علاء موسى كاظم نورس: العراق في العهدالعثماني 1700-1800، دارالحرية ، بغداد ، 1979 ، ص247.

12.المصدرنفسه ،ص256. ؛نزار عبداللطيف الحديثي: العلاقات العربية- الفارسية ،دار واسط ،بغداد،1982،ص83.

13.ظهرت امارة المنتفق في العراق خلال القرنين الخامس عشروالسادس عشرالميلاديين .والمنتفق حديثا" اتحادعشائري يشغل الاراضي على نهر الفرات وتمتد من الجبايش الى الدراجي ومن شط الغراف حتى الحي شمالا"واقترن اسم المنتفق برؤساهم آل سعدون الذين يرتبطون بالسلالة النبوية بارتباطهم باشراف مكة وقد هاجروا من الحجاز وتوطنوا ارض الفرات في بداية القرن السادس عشر .عبد عون الروضان : موسوعة العشائر العراقية ، ج 2 ، شركة الاهلية : المصدرالسابق ،ج 1، ص243.

14.هناك رأيان في نسب بنو خالد،الراي الاول يرى ان بنو خالد من بني مخزوم فهم عدنانيون مضريون من قريش، اما الرأي الثاني فيرى ان بني خالد من احلاف آل فضل وهم من طيئ وعشائرهم مشهودة وتتناقل نسبها المعروف المتواتر وكان لهم اعظم الاثر في الشام خاصة ،وتنتشر عشائرهم في الاحساء شرقي المملكة العربية السعودية والعراق ونجد والشام ؛عبدعون الروضان: المصدرالسابق، ج1 ، ص234.

15.علاء موسى كاظم نورس: المصدرالسابق، ص257.

16.علاء موسى كاظم نورس: المصدر السابق، ص282؛ ستيفن همسلي لونكريك :اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ،ترجمة جعفر خياط ، ط 6 ، 1985، ص ص231-232.

17.رسول حاويي الكركوكلي: دوحة الوزراء ،ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس ، بيروت ،1963،ص187.

18.علاء موسى كاظم نورس:المصدر السابق ص285.

19.عباس العزاوي:تاريخ العراق بين احتلالين ،ج5، منشورات الشريف الرضي،قم المقدسة ،1954،ص81.

20.الخزاعل هناك من قال انهم من خزاعة القبيلة العربية المعروفة ولكن الاصح هو ان الخزاعل من سنبس من طيئ ولم يكونوا من خزاعة ووجودهم في العراق منذالقرن الثامن الهجري بل من ايام امير دولة الحمداني وهي من اقدم العشائرالطائية الموجودة في العراق: ينظرعباس العزاوي :العشائرالعراقية ، ج 3،المكتبة الحيدرية، قم المقدسة ، 1955 ،ص245.

21. لونكريك: المصدرالسابق ، ص243.

22.رسول حاوي الكركوكلي: المصدرالسابق، ص181.

23.حكم بغداد ثلاثة ولاة مماليك يحملون اسم سليمان باشا ابوليلة (1749- 1762) وهواول الولاة المماليك في بغداد وثانيهم سليمان باشا الكبير(1780- 1802) والثالث سليمان باشا الصغير(1808- 1810).

24.عشيرة العبيد احدى عشائر زبيد من فرع زبيد الاصغر؛ عباس العزاوي: العشائر العراقية ،ج3 ، ص153.

25. لونكريك : المصدرالسابق ، ص253.

26.علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،ج1،مكتبة الصدر،قم المقدسة ، 2004، ص176.

27.رسول حاوي الكركوكلي: المصدرالسابق، ص 187 ؛ يوسف كركوش الحلي: تاريخ الحلة، القسم الاول، المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، 1965 ، ص128.

28.احمد علي الصوفي : المماليك في العراق ، الموصل ،1952 ، ص ص 54- 58.
29.عباس العزاوي:تاريخ العراق بين احتلالين ، المصدرالسابق، ج6 ، ص93.
30.عثمان بن سندالبصري: مطالع السعود، تاريخ العراق من سنة1774الى سنة1826،تحقيق عمادعبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيدالقيسي، دارالحكمة ،الموصل ،1991، ص ص 162- 164.
31. لونكريك: المصدر السابق، ص198.
32.عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق ، ج 2 ، بغداد ،1962 ، ص ص 41-43.
33. لونكريك: المصدر السابق ، ص198.
34.الكهية لفظة مختزلة عن (الكتخذا) الفارسية وكانت في عهدالمماليك تعني معاون الوالي ومنفذ لاوامره وقائدقواته ،وكان هذامنصبا" كبيرا" في تلك الايام يلي منصب الوالي في الاهمية ،وقد تأتي لفظة الكهية في اللهجة العراقية احيانا" بصورة(الكخية).
35. لونكريك: المصدر السابق، ص243.
36.رسول الكركوكلي: المصدرالسابق، ص196.
37.احمد الصوفي: المصدرالسابق، ص ص 59-60.
38.رسول الكركوكلي: المصدرالسابق ، ص ص181- 182.
39.عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق ، ج2 ، ص41.
40.علي الوردي: المصدرالسابق ، ص ص 180-181.
41.عباس العزاوي:تاريخ العراق بين احتلالين ، ج 6 ، ص99.
42 . لونكريك: المصدر السابق ، ص244.
43.الكسندرآدموف : ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ج2 ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ،مطبعة التعليم العالي ، البصرة ، 1989، ص124.
44.آدموف: المصدرالسابق ، ص124.
45.رسول الكركوكلي: المصدرالسابق ، ص199.

46.لونكريك: المصدرالسابق ، ص245 ؛ عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج 5 ، ص102.
47 .عثمان بن سند البصري : المصدر السابق ، ص ص 177- 178 ؛ عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج 6 ، ص 102.
48.مجموعة باحثين: العراق في التاريخ ، دارالحرية ، بغداد ، 1983 ، ص613 .
49.عثمان بن سندالبصري: المصدرالسابق ، ص178.
50.عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج6 ، ص ص109 - 110.
51. لونكريك: المصدرالسابق ، ص 246؛عثمان بن سند البصري : المصدر السابق ، ص179.
52.تأسست مدينة السليمانية عام 1786، اسسها ابراهيم باشا بابان في مكان قرية ملكندي، وسميت نسبة الى سليمان باشا الكبير،واصبحت مقرا"لبيكات اسرة بابان واعطي اسمها للسنجق كله بدلا"من اسم سنجق قره جولان .
53. لونكريك: المصدرالسابق، ص246.
54. ادموف : المصدر السابق ، ص126.
55.تولى منصب الكهية في عام 1795بعدان قام بقتل الكهية السابق ، فقام الوالي بتزويجه ابنته وعينه كهية له.
56.رسول الكركوكلي: المصدرالسابق، ص365.
57.عباس العزاوي:تاريخ العراق بين احتلالين، ص 101 .
58.زبيد من عشائرالعراق المعروفة بكثرتها ومكانها وهي من العشائرالقحطانية منتشرة في عديدة من العراق ،اتت الى العراق مع اوائل الفتح الاسلامي،وكان لهم الاثرالبليغ في الفتح الاسلامي على يد رجالها،وهي تتفرع الى زبيد الاكبر وزبيدالاصغر ،ومن فروع عشائرزبيد الاكبر: البوسلطان ،والجحيش ،والسعيد ،وبنوعجيل،والمعامرة،وآل حميد ،والسواعد، ومن فروع زبيدالاصغر: الجبور ،والجنابيين ،والدليم ،والعبيد ،والعزة ، وهناك عشائركبيرة ملحقة وتسكن مع زبيد ينظر عباس العزاوي :العشائرالعراقية ،ج3، ص ص 130- 149.
59. ربيعة يتكون من لواء الكوت وان عشائرها في خارجه ايضا" ليست قليلة في العمارة والناصرية والبصرة وربيعة هم بطن من بكر بن وائل من العدنانية ، نزحوا الى العراق منذالقدم ؛عباس العزاوي :عشائرالعراق ، ج4 ، ص162.
60.عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج 6 ، ص 120 ؛ لونكريك : المصدر السابق ، ص ص 264- 265.
61.الوهابيون نسبة الى الى مؤسس الحركة محمد بن عبدالوهاب ،والوهابيون انفسهم لايرتضون هذاألاسم فهم يسمون انفسهم بـ (الموحدين) ويطلقون اسم الحركة على نفسها عند ألتأسيس والتوسع اسم (حركة الاخوان) ؛ عمرعبدألعزيزعمر:في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2005 .
62. لونكريك : المصدرالسابق ، ص211؛ عبدالمطلب ، ص67.
63.آدموف : المصدرالسابق ، ص130 .
64. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ، ج6 ، ص ص 123- 124.
65.عثمان بن سند البصري :المصدرالسابق ، ص258.
66. لونكريك : المصدر السابق ، ص258.
67. المصدرنفسه ، ص265.

اصل المماليك ونشأتهم

هم خليط من الاتراك والروم والاوربيين اتى بهم الحكام ليستعينوا بهم في القرن السادس الهجري وحتى منتصف القر ن السادس عشر فقد كان كل حاكم يتخذ منهم قوة تسانده وتوفر الامن والاستقرار في امارته او مملكته ، وممن عمل على جلبهم والاستعانة بهم الايوبيين وخاصة في عهودهم المتأخرة لما اصابهم من الضعف واحتاجوا الى الرجال ليمدوهم بالقوة وقد كانو يباعون للملوك والامراء ثم يدربون على الطاعة والاخلاص والولاء (1) .

بسبب الضعف الذي انتاب حكومة بغداد جعلها بحاجة الى حاكم قوي ليعيد الامن فيها وليضع خطة يعالج فيها مشكلات البلاد وانقاذها من الفوضى التي اجتاحتها خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، اذ هيأت الظروف السياسية الفرصة لاسناد العراق الى والي ذي نشاط وكفاءة معروفة وهو حسن باشا (1704-1723 م) فقد بذل هذا الوالي مجهودات كبيرة للسيطرة على العراق بأسره واستطاع ان يبعد عشائر المنتفق عن البصرة ، وان يسند ولاية شهرزور الى ابنه احمد وقد جنت حكومة بغداد ثمار توحيد معظم اجزاء العراق تحت اشرافها ، الا ان حسن باشا توفي فجأة مخلفا ورائه ابنه احمد .

كانت حياة المماليك خلال فترة تربيتهم وشعورهم بأنهم اقلية وسط جموع العراق الكبير اذ ساعدت هذه العوامل في تمكينهم من ان يستأثروا بالحكم في العراق في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (2) .

لم يكن ظهور المماليك في العراق الا ظاهرة تكررت في بقاع عديدة من الدولة العثمانية ، ففي الموصل ظهرت اسرة ال عبد الجليل وفي البصرة ظهرت اسرة ال افراسياب عندما استعاد العثمانيون حكمهم المباشر عليها ولم يكن في وسع الدولة ان توقف ذلك بسبب اتساع نطاق العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات العثمانية ، وكان اول من حكم العراق من المماليك سليمان ابا ليلة (3) الذي تولى الحكم على الرغم من معارضة الباب العالي ، وقد اعيد الحكم للمماليك بسبب ميل الشعب لولاة المماليك وبسبب عجز القوات العثمانية عن اخراج الفرس من البصرة اذ استطاعت عشائر المنتفق ان تخرج القوات الفارسية من البصرة (4) .

دام عهد المماليك زهاء ثمانين عاما" فبدأ في عام 1749 م بولاية سليمان باشا (ابوليلة) وانتهى في عام 1831 م بعزل داود باشا وكان مماليك العراق يشبهون مماليك مصر من حيث اصلهم ومنشأهم فهم جاءوا في الغالب من جورجيا ومنهم من بلاد الشركس والداغستان وهي كلها من بلاد القفقاس اوالمجاورة لها وكانوا يجلبون الاطفال كالانكشارية فيودعون في مدارس خاصة بهم ليتعلموا القراءة والكتابة والسباحة والفروسية وفنون القتال وعند تخرجهم يدخلون في سلك الجيش وان اول من جلب المماليك للعراق هو حسن باشا بعد ان فشل نظام الانكشارية فقد كانت اسواق تفليس زاخرة بالصبيان المعروضين للبيع والظاهر ان بيع الاطفال كان من تقاليد تلك البلاد وقد اسس حسن باشا دائرة خاصة هي (دائرة الداخل) ومهمتها الاشراف على شراء المماليك وتدريبهم وبعد ان تولى ابنه احمد باشا الحكم زاد من شراء المماليك والعناية بهم حتى اصبحوا قوة لايستهان بها (5) .

(3)

سليمان باشا (ابو ليلة)

كان سليمان باشا ابو ليلة اول تولى الحكم في العراق من المماليك وقد وصل الى الحكم اثر فتنة طاحنة قام بها الانكشاريون في بغداد وضربوا السرايا بالقنابل واستمرت الفتنة ثلاثة ايام مماجعل الوالي الذي عينته الدولة يفر من بغداد طلبا للنجاة ، فأضطرت ا لدولة الى تعيين (ابو ليلة) واليا مكانه .

دام حكم ابو ليلة ثلاث عشرة سنة من (1750 – 1763 م) أما سبب تسميته بأبي ليلة فكان لتخفيه وخروجه بالليل وكان شديد الوطأة على كل من يعبث بالأمن خاصة العشائر المتمردة وقد لقب بألقاب اخرى منها (ابو سمرة ودواس الليل وسليمان الأسود) مما يدل على إعجابهم به لقوته وحزمه (6) .

وعلى الرغم مما كام يتمتع به من شجاعة وحزم في علاقته مع رعيته خارج بيته فقد كان في بيته ضعيفا لا امر له ولا نهي اذ كانت زوجته (عادلة خاتون) مسيطرة عليه سيطرة تامة حيث كانت كثيرا ما تبطل الاوامر التي كان يصدرها زوجها او كهيته ، وكانت لها شارة شرف خاصة هي عبارة عن منديل حريري يتميز به اتباعها الذين خدموا في عهد والدها وجدها فكانت تلف الشارة على رؤوسهم في المراسيم ليتميزوا بها عن سائر الموظفين ، وصار على من يريد اقتناء هذه الشارة ان يدفع الى عادلة خاتون مبلغا من المال على سبيل الهدية (7) .

ومهما بلغ الحال فقد بلغ نفوذ المماليك في عهد ابو ليلة من السيطرة الفعلية فقد وصل به الأمر الى اخذ الصبيان المستوردون من أسواق تفليس وايصالهم الى بغداد وتزايدت أعدادهم بكثرة هناك فأسست لهم مدرسة تسع مئتي صبي منهم وصار ابو ليلة يكثر من استخدامهم في وظائف الحكومة فكان منهم الكتبة والجباة وقادة الحاميات ، كما كانوامن كبار حاشيته ايضا فأدى ذلك الى حرمان الاسر التركية والبغدادية المعروفة نصيبها الذي اعتادت عليه من الجهاز الحكومي (8) .